الطيبات من الرزق في كتاب الله

يقول الله عز وجل في محكم كتابه: **{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 31 . 32].**

كان العرب في الجاهلية قبل الإسلام لا يأكلون دسما في أيام حجهم، ويكتفون باليسير من الطعام، ويطوفون عراة يتقربون بذلك إلى الله. فنهوا عن ذلك وألا يتقربوا إلى الله بما لم يشرع أو يحرموا مالم يحرم عليكم. [[1]]

والطيبات من الرزق: في الآية هي: المستلذ من الطعام، والشراب، ودل حديث عائشة على صحة هذا التأويل لمحبة رسول الله ـ ﷺ ـ الحلواء والعسل، وأن ذلك من طعام الصالحين والأبرار، ويدخل في ذلك كل ما شاكل الحلواء والعسل من أنواع المآكل اللذيذة الحلوة المطعم، كالتمر والتين والزبيب والعنب، والرمان وغير ذلك من الفواكه.[[2]]

وهذه الآية: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} ؟ ظاهرها استفهام، إلا أن المراد منه تقرير الإنكار والمبالغة في تقرير ذلك الإنكار.

والمراد من الزينة فيها اللباس الذي تستر به العورة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وكثير من المفسرين.

وقيل إنه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحت الزينة جميع أنواع التزيين ويدخل تحتها تنظيف البدن من جميع الوجوه ويدخل تحتها المركوب ويدخل تحتها أيضا أنواع الحلي؛ لأن كل ذلك زينة ولولا النص الوارد في تحريم الذهب والفضة على الرجال لكان ذلك داخلا تحت هذا العموم، والآية يستدل بها على استحباب لبس الجميل والتزين عند الذهاب إلى بيوت الله لعمومها.

ويدخل تحت الطيبات من الرزق كل ما يستلذ ويشتهى من أنواع المأكولات والمشروبات ويدخل أيضا تحته التمتع بالنساء وبالطيب.[[3]]

وفي قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: 141].

تذكيرا بمنة الله تعالى على الناس بما أنشأ لهم في الأرض مما ينفعهم،... وقوله: {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} [الأنعام: 141].

خطاب موجه إلى المؤمنين والمشركين، لأنه اعتبار وامتنان، وللمؤمنين الحظ العظيم من ذلك، ولذلك أعقب بالأمر بأداء حق الله في ذلك بقوله: {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} [الأنعام: 141] إذ لا يصلح ذلك الخطاب للمشركين.([4])

ومن الطيبات التي أباحها الله تعالى لعباده **اللبن** كما في قوله: **{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ [النحل: 66]**. فهذا اللبن الذي تدره ضروع الأنعام ويتمن الله عز وجل به على عباده وأن لهم فيه عبرة، مم هو؟.

إنه مستخلص من بين فرث ودم. والفرث ما يتبقى في الكرش بعد الهضم، وامتصاص الأمعاء للعصارة التي تتحول إلى دم. هذا الدم الذي يذهب إلى كل خلية في الجسم، فإذا صار إلى غدد اللبن في الضرع تحول إلى لبن ببديع صنع الله العجيب، الذي لا يدري أحد كيف يكون.

وعملية تحول الخلاصات الغذائية في الجسم إلى دم، وتغذية كل خلية بالمواد التي تحتاج إليها من مواد هذا الدم، عملية عجيبة فائقة العجب، وهي تتم في الجسم في كل ثانية، كما تتم عمليات الاحتراق. وفي كل لحظة تتم في هذا الجهاز الغريب عمليات هدم وبناء مستمرة لا تكف حتى تفارق الروح الجسد.. ولا يملك إنسان سوي الشعور أن يقف أمام هذه العمليات العجيبة إلا أن تهتف كل ذرة فيه بتسبيح الخالق المبدع لهذا الجهاز الإنساني، الذي لا يقاس إليه أعقد جهاز من صنع البشر، ولا إلى خلية واحدة من خلاياه التي لا تحصى.

وقال جل من قائل **{وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} [النحل: 67].**

هذه الثمرات المنبثقة عن الحياة التي بثها الماء النازل من السماء، تتخذون منه سكرا (والسكر الخمر ولم تكن حرمت بعد) ورزقاً حسناً. والنص يلمح إلى أن الرزق الحسن غير الخمر وأن الخمر ليست رزقاً حسناً، وفي هذا توطئة لما جاء بعد من تحريمها، وإنما كان يصف الواقع في ذلك الوقت من اتخاذهم الخمر من ثمرات النخيل والأعناب، وليس فيه نص بحلها، بل فيه توطئة لتحريمها **«إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»**

فيدركون أن من يصنع هذا الرزق هو الذي يستحق العبودية له وهو الله.[[5]]

وليس أمر اللبن بأعجب من العسل فكلاهما عجب وفيهما عبرة للمعتبرين قال تعالى:{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 68، 69].

ونقف هنا أمام ظاهرة التناسق في عرض هذه النعم: إنزال الماء من السماء، وإخراج اللبن من بين فرث ودم. واستخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، والعسل من بطون النحل.. إنها كلها أشربة تخرج من أجسام مخالفة لها في شكلها؛ ولما كان الجو جو أشربة فقد عرض من الأنعام لبنها وحده في هذا المجال تنسيقاً لمفردات المشهد كله.[[6]]

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالأكل من الطيبات وهي كل ما أحله الله تعالي من اللحوم وغيرها، وأمرهم عز وجل بشكره على نعمه التي أنعم بها عليهم من أنواع الطيبات من الرزق الحلال؛ فالشكر يكون بالاعتراف بالنعمة وحمد المنعم عليها وصرفها فيما أذن أن تصرف فيه، وذلك كنعمة العلم والمال والبدن، فشكر نعمة العلم العمل به، وتعليمه للناس، وشكر نعمة المال أن يصرف في طاعة الله لا في معصيته؛ وشكر نعمة البدن أن يسخر في عبادة الله، وفعل الصالحات والمسابقة في الخيرات[[7]]

إن الأمر بالأكل من الطيبات سنة المرسلين وأمر الله للمؤمنين كما في قول الرسول الكريم ﷺ: أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: **{يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا، إني بما تعملون عليم} [المؤمنون: 51]** وقال: **{يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم} [البقرة: 172].** [[8]]

[1] [تفسير القرطبي (7/ 195)].

[2] [شرح صحيح البخاري لابن بطال (9/ 494)].

[3] [تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (14/ 230)].

[4] [التحرير والتنوير (8 / 117)].

[5] [في ظلال القرآن (4/ 2180)].

[6] نفس المصدر: [في ظلال القرآن (4/ 2182)].

[7] [نداءات الرحمن لأهل الإيمان (ص: 12)].

[8] [صحيح مسلم / الحديث رقم: (1015).